الفصل السادس

المدرسة الاشتراكية العربية
والصراع الإيديولوجى المعاصر

obeikandl.com

obeikandl.com

المدرسة الاشتراكية العربية
والصراع الإيديولوجى المعاصر

لما كان العالم – كما قدمنا – يكتسحه الفكر الاشتراكى بعد أن سلبت الاحتكارات الرأسمالية أهم مقومات الديمقراطية الليبرالية وأفرغتها من معناها بقضائها على عامل التنافس والفردية وإخضاعها السلطة السياسية لأهواء القوة الاقتصادية العدوانية مما أفقد الرأسمالية كنظام جاذبيتها التاريخية حتى بالنسبة لجماهير شعوبها ، ولما كانت للاشتراكية مدارسها المتعددة : المدرسة البلشفية السوفيتية ، والمدرسة الصينية الماوية ، والمدرسة اليوغوسلافية التيتوية ، وكل من هذه المدارس إنما تنبع من واقع كل شعب وظروفه وتجاربه بل وتراثه الوطنى الأصيل كما أثبتت الأحداث . . .

فقد كان على الثورة المصرية وغيرها من الثورات العربية أن تحدد فى لقائها مع تيارات الفكر العالمى المعاصر – وحرصها فى الوقت نفسه على تراث الأمة العربية وشخصيتها المتميزة – معالم المدرسة الاشتراكية العربية بما يتفق مع رغبة الأمة العربية فى القفز فوق حاجز الزمن ومخلفات الاستعمار والاستبداد لحاقاً بركب الحضارة العالمية ، ولا يصطدم مع مقوماتها وعقائدها الأساسية .

ومن الممكن أن نلخص من واقع مواثيق الثورة المصرية الخصائص الأساسية للمدرسة الاشتراكية العربية – كما ينبغى فى اعتقادنا أن يطاق عليها – فى المبادئ التالية :

١ – إرادة تغيير ثورى ترفض أى قيد أو حد لحقوق الجماهير ومطالبها [١] .

٢ – إيمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية .

---

(١) راجع أبواب الميثاق .

٣ ــ تحالف قوى الشعب العاملة لحل التناقضات الطبقيــة سلميًا واستنكار اللجوء إلى العنف ، وعدم السماح بتحكم طبقة اجتماعية واحدة أو سيطرتها ..

٤ ــ حتمية الحل الاشتراكى .

٥ ــ احترام الملكية الفردية غير المستغلة .

٦ ــ احترام حقوق الإنسان وإعلاء مبدأ سيادة القانون .

٧ ــ الربط الوثيق بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية .

٨ ــ الإيمان بمبدأ القيادة الجماعية وصيانة حق النقد والنقد الذاتى .

٩ ــ الإيمان بالقومية العربية والسعى إلى تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

١٠ ــ نبذ الاستعمار ومحاربته بكل الوسائل وفى كل مكان .

١١ــ الإيمان بمبادئ التعايش السلمى وميثاق الأمم المتحدة والتضامن الآسيوى الإفريقى .

وكما كان متوقعاً فقد تعرضت ثورة الشعب العربى فى مصر وغيرها من الأقطار العربية لمحاولات يائسة من جانب القوى الاستعمارية القديمة والجديدة لاستقطابها أو القضاء عليها بكل الأساليب والطرق من حرب ساخنة إلى حرب باردة ، ومن أحدث أسلحة القتال التكنولوجية إلى أحدث أساليب الحرب النفسية والأيديولوجية .

وتكاد تسير محاولات التخريب الأيديولوجى الذى تعزف أجهزة الإعلام المعادية والأقلام العميلة على وترها بتناسق ظاهر ومهارة فائقة على النحو التالى[1] :

أولا ــ مهاجمة فكرة الوحدة العربية : فأعداء الوحدة العربية يسلطون الأضواء على ما بين الشعوب العربية من خلاف ويغضون الطرف عما بينها من أواصر اللقاء والتشابه والمصالح ، ويهمسون إلى مصر بأن من مصلحتها التفرغ لشئونها الخاصة وأن ربط عجلتها بالأمة العربية ليس وراءه إلا المتاعب ، ويهمسون

(١) مختار التهامى : تحليل مضمون الدعاية ــ دار المعارف ١٩٧٤ .

فى أذن الدول العربية الأخرى بأن مصر ترفع راية الوحدة العربيه لتحل مشاكلها على حساب تلك الدول[١] . ومن الواضح أن العدو كان يرمى من وراء ذلك إلى إحداث خلخلة فى الجبهة العربية وعجز عن وضع خطة مشتركة لمواجهة العدو المشترك ، وليس من شك أن التكاتف العسكرى والسياسى والاقتصادى للدول العربية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد أفسد كافة مخططات العدو ، ولكن هذا لا يعنى فراغ جعبته أو انتهاء محاولاته الداقة للأسافين .

ثانياً : مهاجمة الفكر الاشتراكى فى النظرية والتطبيق : فمن الناحية النظرية يرتكز هجوم العدو على الخلط بين الاشتراكية الممارسة فى البلدان العربية والشيوعية وهم يستهدفون من وراء ذلك بلبلة العامة وعزل الدول الاشتراكية العربية عن سائر الدول العربية والإسلامية الأخرى . أما من الناحية التطبيقية فإن هجوم العدو ينصب على بعض الأخطاء التى لا بد وأن تتعرض لها كل تجربة جديدة فيضخمونها ويبالغون فيها ويغضون الطرف تماماً عن النواحى الإيجابية الغالبة فيها . فمن ذلك مثلا الحملة الضارية على القطاع العام الذى اولاه — كما قال رئيس الوزراء — لما استطاعت مصر أن تخوض بنجاح ساحق معركة التحرير الكبرى فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ومن ذلك أيضاً الحملة المريبة على السد العالى فخر مشروعات الثورة ومنجزاتها .

وفى اعتقادنا أن المدرسة الاشتراكية العربية — ممثلة فى الثورة الاشتراكية العربية الأم — ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — قد نجحت فعلا — رغم كل ضروب الحرب النفسية الباردة والساخنة التى شنتها عليها قوى الاستعمار والرجعية ورغم بعض أوجه التناقض الذى شابها فى التطبيق — فى تكوين نقطة ارتكاز أساسية لأيديولوجية عربية مقبولة من الجماهير الشعبية العريضة حيث إنها لا تتنكر لمعتقداتها الأساسية ولا تتخلف فى الوقت نفسه عن

---

(١) سليمان الطماوى : الوحدة الوطنية ص ١٣٦ — ١٤٠ — دار الكتاب العربى القاهرة .

مسايرة ركب الزمن وتيارات الفكر والحضارة الإنسانية المعاصرة .

وفى اعتقادنا — أيضاً — أن نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ وملابساتها وأحداثها هى البداية الحقيقية لقطف ثمار هذه الأيديولوجية التى وإن تباطأ نضجها وسط هذا الصراع الأيديولوجى العالمى المحتوم وفى مواجهة الحرب النفسية التى لا تكل ، قد استطاعت مع الزمن أن تشق طريقها بنجاح وثبات فلم يغرقها المد أو يقتلها الجزر . . .

ولعل أبرز ما يميز فكر المدرسة الاشتراكية العربية محاولتها الجمع بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاقتصادية ، أو على الأقل إيجاد قدر من التوازن بينهما يستهدف عدم إرهاق الجيل الحالى — بقدر الإمكان — بأعباء فوق طاقته النفسية أو المادية ، وهو ما يمكن أن نسميه بحق بأسلوب ثورة ٢٣ يوليو فى الانتقال السلمى إلى الاشتراكية . وهو الأسلوب الذى يدعمه حالياً رفع الدولة لشعار سيادة القانون فى النظرية والتطبيق الأمر الذى يلقى على كاهل أجهزتنا الإعلامية والثقافية مزيداً من المهام والمسئوليات لمجابهة الحرب الإعلامية والثقافية المعلنة علينا بصفة دائمة بحكم أوضاع عالمنا المعاصر التى تناولناها بالحديث فى فصول هذا البحث ، تلك الحرب التى تستهدف أساساً لوى إرادتنا وطمس شخصيتنا وتشويه معالم ثورتنا التى تمثل بحق خطراً ماحقاً وتهديداً خطيراً لأحلام الاستعمار قديمه وجديده للعودة إلى المنطقة ممتطياً صهوة الحصان الصهيونى الظمآن لرى عطشه من آبار البترول .

وإذا كان لنا أن نلخص الدروس المستقاة من الصراع الأيديولوجى العالمى المعاصر الذى عرضنا لمظاهره الأساسية فى هذا الكتاب كى تساعدنا هذه الدروس فى تبين طريقنا ، فليس من شك أن الحقائق أو المعادلات التالية هى أول وأهم ما ينبغى أن يستلفت أنظارنا .

وهذه الحقائق تقول :

— فى غيبة العقيدة يسهل الإيحاء وبالتالى تنتشى الحرب النفسية وألوان الدعاية المدمرة وتؤتى ثمارها ، وهذا يؤكد أهمية تمسكنا بعقيدة واضحة ومقنعة وصادقة تجذب حولها السواد الأعظم من الجماهير .

– لا يقل العقيدة إلا العقيدة . ولذلك ينبغى أن تدعم من ترسيخ عقيدتنا فى عقول ونفوس أبناء شعبنا وخاصة أطفالنا وشبابنا .

– الأفعال هى الاختبار الحقيقى لمدى صدق العقيدة والضمان الأساسى والإلتفاف الجماهير حولها ؛ ولذلك ينبغى أن تتمشى أفعالنا دائماً مع عقيدتنا المعلنة .

– أجهزة الإعلام والثقافة بما تقدمه من نماذج وأفكار ومعلومات أدوات خطيرة لدعم العقيدة أو هدمها . ولا يمكن أن تسود عقيدة مع وجود مناخ إعلامى وثقافى معاد لها . فأول ما تسعى إليه القوى المعادية للثورة – أى ثورة – هو التسلل إلى الجهاز الإعلامى والثقافى لإيجاد فجوة بين الغذاء الروحى اليومى والعقيدة السائدة بين الجماهير . وهذا يتطلب منا المبادرة فوراً إلى إعادة تقييم أجهزتنا الإعلامية والثقافية ووضع حد لأى تناقض موجود .

وهنا تجابهنا مشكلة خطيرة هى مشكلة الحرية . حرية التعبير . كيف نحافظ على حرية التعبير وهى أساسية لصيانة أى نظام اجتماعى سياسى دون أن نسمح بتسلل التخريب الفكرى لهدم النظام .

والرد على ذلك أن الحرية مسئولية ، وحدود هذه المسئولية لايكونها الفرد بنفسه ولكن تكونها الجماعة عن طريق تنظيماتها السياسية الديمقراطية .

وإذا كانت الجماعة قد ارتضت مواثيق ثورة يوليو عقيدة لها فقد تحددت حدود هذه المسئولية فى احترام هذه العقيدة والالتزام التام بها من جانب صانعى القرار السياسى والإعلامى . فهذا هو الطريق الوحيد لصيانة وحدتنا الوطنية وكياننا القومى . . .

والله ولى التوفيق

• • •